رئيس التحرير:
أسامة بن سليمان الفليّح

البردويل

December /2024 / issue: 5

وداعاً عام الإبل 2024م



<u>للإبل أهميتها ورمزيتها العريقة فى صحرائنا العربية منذ نشأة هذه الأرض، فهى الرمز الصحراوى الأصيل، فلا يرد خبر من أخبار العرب فى (أدبيات الغربيين) إلا ونجد الإبل حاضرة فى تلك النصوص، حيث استأنسها الإنسان الأول لتحملها المشاق والمسافات الطويلة دون ملل أو كلل، سواء فى الارتحالات أو الحروب أو سبل التجارة الطويلة التى تربط الشرق بالغرب.</u>

كان للإبل مسارات تجارية مهمة في العصور الأولى وما يجلب عليها من التوابل والذهب والعاج والفضة والحلي، فهي العنصر الأساسي في قطع تلك المسافات فكان لها إسهامات عظيمة بتطوير الحضارات المترامية على شريط المحيط الهندي وامتداداً لمدائن البحر الأحمر والمتوسط وما ورا النهرين، لذا كانت هي العنصر الأساسي من بعد إنسان ذلك العصر على الرغم من العلاقة الأزلية. جاب المسلمون والرحالة العرب أصقاع المعمورة على ظهور الإبل وهذا ما أسهم بما قدموا من فتوحات وعلوم مهمة بفك رموز ذلك العالم المظلم.وردت أخبار الإبل في أشعار العرب الأولين التي تصفها وتصف قيمتها ومكانتها ومدى تحملها وصبرها، لذا نجد أن الإبل دائماً حاضرة في أشهر قصائد شعراء الجاهلية حيث يدللها الشعراء ويعتزون في رفعتها وقيمتها العريقة، فلا يقف الأمر إلى ذلك الحد بل نراها أيضاً في نصوص (الرحالة الغربيين) وتبدو أكثر الثناءات على (الراحلة) أي الذلول أو الناقة لقوتها وتحملها مشقة العبور والارتحال في عمق الصحراء العربية لإنجاز المهمات الاستكشافية الطويلة من أشهر هؤلاء الرحالة الذين توغلوا على ظهور الإبل في الجزيرة العربية: كارستن نيبور، وجورج سادلير، وأوغست فالين وبالجريف، وتشارلز دوتي، والليدي آن بلانت، وهوبر ويوليس، وشكسبير، وموزيل جيرترود بيل، ولورنس، وغيرهم الذين تناولوا من خلال نصوصهم أصالة الجمال العربية، والبعض من هؤلاء تعجب من قوتها وذكائها وتحملها المشاق.

ولم يكتف هؤلاء المستشرقون بتسجيل إعجابهم بهذه المخلوقات فقط بل أصبحت غالب أغلفة أعمالهم وعناوينهم الأساسية لا تخلو من صورة الجمل أو الناقة. يقول المستشرق تشارلز دوتي حينما زار الجزيرة العربية عام 1877م: (إن الإبل العربية لديها مهارة عجيبة وتمتاز في قطع المسافات الطويلة بسرعة فائقة). وكذلك يقول: إن الإبل العمانية تجد تقديراً خاصاً يرفع أثمانها إلى ثلاثة أضعاف أثمان الإبل الأخرى، وهذا ما ساعده في استكشاف أهم الآثار في تيماء وخيبر وكان أيضاً لوليام شكسبير ناقة جميلة أنيقة أطلق عليها اسم (ظبية) وارتحل عليها من الكويت إلى أواسط نجد إلى أن وصل إلى أقصى شمال الجزيرة العربية. وكذلك الإنجليزية الليدي ديغبي التي عشقت الإبل وأشرفت على رعايتها ولها العديد من الأبيات حسب ما أشار إليه الباحث قاسم الرويس ونسب إليها هذه الأبيات:

يا عين ريم جافله من زراجه
ومجفله ريم العطاطيب بنواج

وأبدت المستشرقة البريطانية الليدي آن بلنت وهي المهتمة في سلالات الخيل العربية الأصيلة إعجاباً كبيراً بأصالة الإبل الشرارية الفذة، وكذلك المعتمد البريطاني ديكسون حيث صنف الإبل إلى عدة سلالات، وأشاد في أصالتها وكتب تفصيلاً دقيقاً عن ألوانها وأنواعها وأوسمتها في دقة متناهية، وصنف أيضاً الجيد منها والرديء. اهتم هؤلاء المستشرقون كثيراً بدراسة أعراق وسلالات الخيل العربية وسلالات الإبل العربية بأنواعها، واستحدثوا من تحمل بأسها الكثير من المهام لخدمة أعمالهم ومهماتهم العلمية والعملية والاستكشافية في زمن كانت الإبل هي الوسيلة الوحيدة التي يخترقون الآفاق على ظهورها. والأمثلة كثيرة من تلك الإعجابات ولكن ابن الصحراء العربية كان مختلفاً جداً من خلال الأشعار التي تؤصل أصالة الجمال العربية، كمثال هذه الأبيات للشاعر محدى الهبداني حينما وصف ذلوله:

يا راكبٍ من عندنا فوق عنسي
سحوان قطاع الفيافي عماني
عنسٍ سبرسٍ بالسواد الوغطسي!
قطاع دوٍ هوذلي سوسحاني

ربما هذا الوصف من أغرب الأوصاف وكأن الشاعر يرمز إلى قوة ذلوله مفتخراً حيث تجرأ الشاعر بتبيان قيمة ذلوله.. وهنا أيضاً وصف آخر ومختلف عن ما سبقه للفارس تركي بن حميد واصفاً ذلوله:

يا راكب اللي ما يداني الصفيري
هميلع من نقوة الهجن سرساح
أمه (نعامة) وضرّبوها بعيري
وجاء مشبهاني على خف وجناح

ومن الطرائف استعجاب مجايله ومنافسه محمد بن هادي بن قرملة، حيث يتساءل عن هذه الرموز التي يرمز إليها ابن حميد وأصر على مجاراته متسائلاً:

يا تركي بن حميد وش ذا البعيري؟
ما تجلبونه كان تبغون الأرباح
دامه بعير وله جناح ويطيري
أنا أسألك وشلون راعيه ما طاح

فكل هذه الأبيات تبين أهمية الإبل لدى أصحابها إلا أن هنا يتفرد شاعر آخر وهو صاحب المعلقة الشعرية الشهيرة (الشيخة) محمد الدسم، واصفاً ناقته بوصف أكثر حماسة من مجايليه:

الله على الهوجا طويلة مناكيب
حمرا ردوم وجالس مرجحانه
مرباعها من خشم لاهه وتغريب
في سهلة متخالف ديدحانه
هوجا ليا حدوا عن الما بتجنيب
تنحر لها عد خفي البيانه

وهذه الأشعار متماثلة أيضاً مع أسلافهم الشعراء الأولين كطرفة بن العبد والشنفرى وعروة ابن الورد وأبي الطيب المتنبي الذين أبدعوا أيضاً في أوصاف الإبل. وتعد قصائد الشاعر خلف أبو زويد الأميز والأكثر تأثيراً وهو يعد من الشعراء المتأخرين حيث وصف ناقته بوصف مختلف:

حمرا على السندا عديم تهدّي
عليه سنامٍ شاتيٍ عقب تقييظ
حمرا عثافر منوةٍ اللي يمدي
حزوبره، منوة مقضي الأغاريض
مهجاج عند المزهبة لو تغدي
ما تلهدك بالرغرغه والتفاضيض

وكذلك قائل هذه الأبيات الجميلة التي يصور فيها ناقته تصويراً دقيقاً ويميزها بأجمل وصف شعري حيث يقول:

يا راكب اللي كنها سلوع الذيب
حمرا ولا عم الحوير غذي به
حمرا وتكسر من عياها المصاليب
حمرا وتوه في جهلها منيبه

فجميع هذه الأبيات ترمز إلى جمالية الإبل وندرتها وأهميتها الكبيرة لدى أصحابها في تلك الأزمنة فلا غرابة أن يصف خلف أبو زويد ناقته بهذا الوصف حيث تميز عن سواه بوصف الإبل واهتم بتبيان مزاياها. وكذلك قول شاعر آخر إذ تعتبر هذه الأبيات سيمفونية شعرية:

ياأهل الهجن خذوا بهن شله
واسروا الليل وأطراف الأيامي
كل شي طراته على حله
بدلوا سير الانضا بدرهامي
لا لفيت العرب بيته ادله
في هوى القلب يمشن الأقدامي.

يبقى القول إن صحراء الجزيرة العربية أي المملكة العربية السعودية هي الحاضنة الكبرى لأجود أنواع الإبل بحسب نقوشها ورسوماتها الصخرية التي مضى عليها آلاف الأعوام ومازالت إلى هذه الأزمنة بمكانتها وقيمتها ورمزيتها العربية الأصيلة.

العدد الأخير

العدد الأخير
وداعاً

ـ دفاعاً عن (عطايا الله)

سليمان الفليّح

<u>قول الدراسات القديمة المتعلقة بما قبل الميلاد أن الجمل قد اكتشــف في الجزيرة العربيـة حوالى العام 1100 (ق.م) وقد أثبت الباحث الشـهير ليتمان من خلال النقوش والرســومات التي تركها آل ثمود على الصــخور في الجزيرة العربية أن هذا الحيوان قد اسـتوطن المنطقة منذ آلاف السـنين، كما دل أول سـجل بالخط السماري. على أن البدو الذين يركبون الجمل قد حاربوا آشــور ناصــر بال عام 880 قبل الميلاد، وهم ســكان (عريبى) الذين يقودهم (جندب العربى) بجيش حشــدوا فيه ألف.. جمل وقد ذكر أن (عربى) هى الطرف الشـمالى الأقصـى من الجزيرة العربيـة بين الشـــام وبلاد مـا بين النهرين، وهى تحديداً (الواحة الوسـطى) ـأدوماتو أو دومة الجندل ـ الجوف حالياً والتي كان يســكنها ملوك القبائل الذين وردوا فى سفر آراميا الأصحاح.</u>

هكـذا:(وكـل ملوك العرب وكـل ملوك اللفيف الســـاكنين في البريـة) أمـا الإغريق ومن خلال الحملات التي شـنتها (دارا) فكانوا يطلقون على تلك المنطقـة (تون أرابون). أمـا الأحبـاش فيســمونـهـا (ارآباتي) أي بلاد الأعراب الذين اســتأنســوا الجمل واســـتعملوه للحرب والترحال. وهكذا ارتبط الجمل بـالإنســـان العربي منـذ فجر التـاريخ حتى يومنـا الحاضـــر.وكان الجمل هو ثروة الإنســـان العربي وسـبيل بقائه بعد الله إذ كان ينتقل عليه وينسـج من أوباره ملابسه ومسكنه (بيت الوبر) قبل بيت الشعر ويأكل لحمه ويشـــرب حليب إناثه وينتعل (ثفنته) ويصـنع من جلده (القربة) و(الدلو) وسـائر حوائجه ويسـتفيد حتى من (دمن) الجمل لإيقاد ناره ويختزن (ودك شـــحمه) لطعامه طوال العام، وكذلك (قديد) لحمه كما أنه بمقدوره أن يشـــرب الماء من (معدة) الجمل عند الضـــرورة القصـــوى، كما فعل خالد بن الوليد رضـي الله عنه في غزوة تبوك وكما كان يفعل غزاة القبـائـل العربيـة في تـاريخنـا الحـديث عنـدمـا (يعزّ) الماء (!!)

وحينما أشرق نور الرسالة المحمدية في أنحاء الجزيرة العربيـة وغمر نور الهـدايـة الكون ونزل القرآن على نبي الهدى محمد ـصلى الله عليه وسلم ـ كان من آياته أن ضـــرب الله ســـبحانه وتعالى مثلاً بـالإبـل في الآيـة الكريمـة: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} وفي سـورة الشـمس قال تعالى: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُــولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُــقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا}

وجاء في الحديث الشـــريف (الإبل عزّ لأهلها) وفي السيرة النبوية الشريفة أن الرسول ـصلى الله عليـه وســـلم ـ حينمـا هـاجر من مكـة إلى المـدينـة واســتقبله الأنصــار ترك لناقته (القصــواء) الخيار، وقال لهم: دعوها فإنها مأمورة، فبركت في محل المســجد النبوي الآن وأخذ متاعه الصــحابي الجليل أبو أيوب الأنصــاري وكان هو مضــيفه الكريم. وهذا ولا شك يعتبر تقديراً من رسول الله للناقة

أما فيما يخص قبائلنا العربية العريقة، فنحن نعرف مدى اعتزاز الفرد بإبله واستبساله في الذود عنهـا لـدرجـة أن الفـارســـي البـدوي كـان (يعتزي) ب(نـاقتـه) مثلما يعتزي بأختـه وذلـك بقولـه (أنـا أخو فلانة. راعي الفلانة) وكانوا يســمون نســاءهم على أســـماء إبلهم وألوانها ك(وضـــحاء) و(شـــقحاء) و(مريفـة) وهكـذا.. وهـذا يـدل على مـدى تقـديرهم للإبل.

أما في تاريخنا المشرق الحديث فإننا لا ننسى أن موحد الجزيرة العظيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ـطيب الله ثراه ـ قد وحد هذا الكيان الرائع على الإبل منذ أن انطلق من الكويت بمعية رفاقه على الهجن ليحقق حلم وحدتنا المستحيل ويشيد مملكة العز



والكرامـة والأمـن والرخـاء ويـؤمن كـل بـدوي علـى إبلـه وعرضـه ومالـه وينهـي صـراعات الجهـل والاحتـراب، لـذا لـو لـم تكـن شـريعتنا السـمحة تعـارض إقامـة النصـب والتماثيـل فـي الشـوارع والسـاحات العامـة كمـا تفعـل سـائر الأمـم والشـعوب فـي تكـريم أبطالهـا التـاريخيين بوضـع التماثيـل البرونزيـة لهـم وهـم يمتطـون خيـولهم فـي السـاحات العامـة، لكـان هنـاك تمثـال لعبـدالعزيز وهـو يمتطـي الـذلول مثلـه مثـل الرجـال العظـام الـذين وحـدوا بلادهـم فـي الشـرق والغـرب فـي كـل مدينـة وقريـة وهجـرة.. ولكـن حسـبنا أننـا نحمـل صـورة موحـدنا العظـيم وهـو يمتطـي (ذلولـه) فـي قلوبنـا العـامرة بحـب هـذا الـوطن الـذي أرسـى دعائمـه ووحدتـه وعزتـه وجعلـه مـن أجمـل الأوطـان. بـالطبع كـل الشـواهد والأمثلـة التـي طرحناهـا فـي هـذا المقـال تؤكـد مـدى ارتباطنـا التـاريخي بالإبـل، ومـدى أهميتهـا لنـا بـل وتبـرر مـدى تقـديرنا واحتفائنـا بهـا وإقامـة المهرجانـات التـي تربطنـا بتراثنـا العريـق ويـأتي علـى رأسـها مهرجـان مـزاين الإبـل السـنوي الـذي يقـام فـي أم رقيبـة والـذي تقـام علـى هامشـه فعاليـات شـعبية وأسـواق نـادرة تتعلـق بثقافـة الصـحراء تـنعش المنطقـة وتـدعم اقتصـادها وتجعلهـا محـط الأنظـار. ومـن هنـا فإننـا نتمنـى أن تنتهـي مهرجانـات المـزايين (القبليـة) وينضـوي كـل الأفـراد مـن مربـي الإبـل الجيـاد إلـى مهرجـان وطنـي واحـد يجمعهـم تحـت اسـم جـائزة المؤسـس العظـيم عبـدالعزيز بـن عبـدالرحمن ـطيـب الله ثـراه ـ كمـا هـو حاصـل فـي مهرجـان أم رقيبـة السـنوي، والتـي ترعاهـا المملكـة العربيـة السـعودية ، حيـث يتنـافس الجميـع علـى جـائزة الـوطن لا جـائزة القبيلـة وذلـك لأن المزاينـات القبليـة تثيـر فـي أنفـس (بعـض الجهلـة) والرعـاع عصـبيات ضـيقة تتعـارض مـع مفهـوم الوطنيـة الحقـة. وأخيـراً، نقـول لكـل مـن يسـخرون مـن هوايـة تربيـة الإبـل: لمـاذا لا يسـخرون مـن هوايـة تربيـة البقـر فـي الغـرب الأمريكـي، وأعنـي بـذلك رجـال (الكـاوبوي) الـذين تغـزو بلادهـم العـالم بـأفلامهم منـذ أن وطـأوا الأرض الأمريكيـة حتـى اليـوم، ثـم هـل كانـت تربيـة البقـر معوقـاً لهـم عـن الصـناعة والقـوة والتقـدم والتكنولوجيا. ذلك هو السؤال.



مفقودات تاريخية

مسلة تيماء

رمزاً سعودياً تاريخياً..



حينما يكون الحديث حول ما سُرق من أقطار الجزيرة العربية وصحاريها خلال القرنَين فهناك العديد من الآثار الثمينة التي سُرقت ونقلت إلى بلدان أخرى، من أشهرها (مسلّة تيماء) الآرامية التي نقلها القنصل الفرنسي في جدة إلى باريس بعد مقتل (مقتنيها) شارل هوبر؛ إذ دار حولها لغط وجدل طويل، وتضاربت الأنباء حولها في الأوساط الأوروبية آنذاك بأحقية الملكية ما بين باريس وبرلين رغم أن أول من اكتشفها هو الرحالة البريطاني تشارلز داوتي (Charles Dughty) حينما زار المنطقة ما بين عامي 1876 - 1877م؛ إذ عاش داوتي كرحال مشرد، يتلقى سيلاً من الإهانات والضرب والتأديب ما بين العلا وحائل والقصيم إلى أن وصل إلى الطائف وجدة. وكان يتقن اللغة العربية بجدارة، وكان أيضًا يجيد التحدث باللهجة العامية البدوية، ويقرض الشعر النبطي، ويحفظ بعض القصائد.

والأهم من ذلك كيف اكتشف داوتي المسلّة، وقدم عنها تقريراً مختصراً للمستشرقين الغربيين، بالرغم من أن هذا التقرير هو الذي دفع المستشرق الألماني يوليس أوتينغ (Julius Euting) والمستشرق الفرنسي شارل هوبر (Charles Huber) للقدوم إلى الجزيرة العربية بدعم كبير من وزارة التعليم الفرنسية، بالرغم من أن هوبر زار المنطقة، ولم يعِر هذا النقش أي اهتمام بحسب ما يزعم، وكانت له علاقات مميزة مع بعض الأمراء، وهي التي سهّلت عليه عملية التنقل بكل حرية. وحينما وصل المستشرقان المذكوران إلى تيماء سأل المستشرق الألماني أوتينغ عن (زيدان الحداد) الذي ذكره داوتي بالتقرير، وبالفعل وجد أوتينغ زيدان الحداد الذي أرشده وساعده في الحصول على المسلّة بمقابل مالي. وعلاوةً على ذلك وفّر له مجموعة رجال لخلعها من قصر (طليحان) إلى مقر إقامته. وهذا حسب ما ذكر أوتينغ في كتابه (رحلة إلى داخل الجزيرة العربية) الصادر من قِبل دار الوراق، بالرغم من أن مذكرات هوبر (يوميات رحلة في الجزيرة العربية) التي طبعتها جامعة تبوك في عام 2014 لم تذكر أي تفاصيل عن (يوليس أوتينغ) حتى على مستوى المرافقة؛ ربما بسبب مقتل هوبر قبل أن يكمل يومياته. والغريب في هذه الحادثة (أعني حادثة القتل) ورود اسم المستشرق الهولندي سنوك هرخرونيه (Snuck Hurgrnj) كمتورط. وحسبما نشر في (مجلة التان) أن هرخرونيه تواطأ مع القاتلين، أو ربما حاول الحصول على المسلة؛ وهذا ما تسبب بطرده من الحجاز، ومنعه من دخول الأراضي. قول دوغلاس كاروثرز (Duglas Carruthers) في كتاب مغامرة في جزيرة العرب: يبدو أن أوتينغ هو مكتشف المسلّة، بينما هوبر مشتريها.

ويبقى القول إن آراء المستشرقين وتحليلاتهم بأحقية المسلة لا تعنينا أكثر ما يعنينا اليوم أن تُستعاد المسلة بعد أن مضى عليها أكثر 130 خارج إطار موقعها الجغرافي، وهي بطبيعة الحال لا تعني لا ألمانيا ولا فرنسا، وليس لها أي علاقة أو ربط بتاريخ البلدين؛ لذا نتمنى أن يُفتح هذا الملف من جديد، وتعاد المطالبة إلى أن تعود هذه المسلة إلى المتحف السعودي الوطني.



أسطورة الطفل الغزال 1947 – 1955م



دارت الكثير من الاساطير حول شخصية "الإنسان الغزال"، إذ يقال أن هذا الطفل كان يسبق السيارة وان شوهد اكثر من مرة في الصحراء الواقعة بين "الحدود العراقية السورية الأردنية " في جغرافية قبيلة عنزة ، فــ قليلة جداً الشهادات حول هذه الأسطورة إذ يقول الكاتب المصري انيس منصور في كتاب(صالون العقاد كانت لنا أيام موثقا لهذه الحادثة): " ان في سنة 1946 عثروا – على حدود العراق وسوريا – على الإنسان الغزال، وكان أسرع من سيارات الصيادين"

وأيضًا رآه المفكر العراقي ساطع الحصري يقول :"قبل بضع سنوات تكونت في سوريا أسطورة الإنسان الغزال: سيارة تسير في الصحراء عثرت على آدمي متوحش يركض بسرعة خارقة مثل الغزال والسيارة بعد جهود شاقة، استطاعت أن تعتقله. ونقلته إلى دمشَق، وسلمته إلى دائرة الصحة، والإدارة المذكورة أرسلته إلى مستشفى الأمراض العقلية. وعلى أثر ذلك أخذ ينتشر بين النَّاس وعلى صفحات الجرائد ... كثير من الأخبار والروايات والقصص عن هذا الإنسان الغزال، وصارت هذه الروايات تزداد وتتوسع وتتعقد وتتضاخم يوما عن يوم. كنت إذ ذاك في دمشق، وذهبت إلى المستشفى القائم في إحدى ضواحي العاصمة، الملاحظة أحوال هذا الإنسان الغزال. إلا أني بعد قليل من الملاحظة تأكدت من أنه إنسان عادي، نشأ نشأةً عادية، ولكنه كان أبكم، وضلَّ الطريق عندما كان يسير في الصحراء، وفَزِعَ من مطاردة السيارة له وأخذ يجري بأقصى ما يمكنه من السرعة. والتحقيقات التي تمت في شأنه فيما بعد، على يد الأطباء من ناحية، ورجال الدرك من



ناحية أخرى .... لم تترك مجالاً للشك في هذه القضية إلا أنه خلال تلك الفترة كانت الجرائد كتبت عن هذا الإنسان الغزال كثيراً من الأخبار والروايات والقصص، مما حمل شركات الأخبار العالمية أيضًا على الاهتمام بأمره، والكتابة عنه مستندة إلى تلك الأخبار والروايات. حتى إن جريدة كبيرة زعمت بأنها أرسلت أحد محرريها لوصف الإنسان الغزال ونشرت عنه «تحقيقًا صحفيًا» مقرونا بصورة شمسية مأخوذة في وسط الصحراء. هذا، ومما يجدر بالذكر أن ظهور نتائج التحقيقات الرسمية لم يقض على هذه الروايات والإشاعات على الفور، بل بَقِيَت قصصِ الإنسان الغزال تتردد على الألسن مدةً من الزمن. ولكني دهشت يوما دهشةً كبيرة عندما كنتُ أقرأ كتابًا حديثا في التربية، ألفه باللغة الإسبانية أحد علماء الاسبان، وترجمه إلى الفرنسية أحد علماء فرنسا؛ إذ وجدت في هذا الكتاب العلمي فقرةً عن الإنسان الغزال الذي اكتشف في بادية الشام.

تعددت الروايات حول هذه الأسطورة ويقال إن الشيخ أورنس الشعلان استخدمه في العديد من المسابقات إلا ان دُهس في احد شوارع دمشق وتوفى، وسبق أن نشرت عنه الوكالات الألمانية والفرنسية فيديوا مصور ويبدو أنه طفلاً يعاني من اضطرابات و خلل تكويني

الاعداد السابقة

